جامعة القاهرة

كلية دار العلوم

قسم الفلسفة الإسلامية

التصوف الإسلامي في مالي نشأته وتطوره

بحث مقدم لنيل د رجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية

إعداد

الطالب / كوروماكان سيدو

إشراف

أ . د / حامد طاهر

الأستاذ بقسم الفلسفة الإسلامية – دار العلوم

جامعة القاهرة

ونائب رئيس جامعة القاهرة الأسبق

د .ا لمنشاوي عبد الرحمن

مدرس الفلسفة الإسلامية بدار العلوم

جامعة القاهرة

٢٠١٢

إهداء

إلى بلدي مالي الحبيبة وإلى بلدي مصر الإفريقية السعيدة،

وفاءً وعرفاناً . وإلى والدي ووالدتي العزيزين– أطال الله بقاءهما .

وإلى أساتذتي الأجلاء، وإلى كل من آزرني أو قدَّم لي يد العون خلال

إعداد هذه اا‌لرسالة

شكروتقدير

يسجد الباحث شاكرًا للّه على فضله عليه في إتمام هذا البحث، ثم يتوجه الباحث بخالص الشكر إلى جمهورية مصر العربية ممثلة في جامعة القاهرة التي احتضنته ووفرت له كل الظروف الملائمة لينهل من معينها حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم.

كما يتوجه الباحث بخالص الشكر والعرفان بالجميل إلى أستاذه المشرف الأستاذ الدكتور/ حامد طاهر– نائب رئيس جامعة القاهرة الأسبق أستاذ الفلسفة الإسلامية بدار العلوم الذي أحاطه بالرعاية والحب؛ فقد وجَّهني بدأب وإخلاص، وبذل معي جهدًا علميا صادقا فطوّق عنقي بعلمه وفضله، وكان لي خير مرشد ومعين، فقوم ما التوى عليَّ من مسائل، وذلَّل ما واجهت من صعاب، وحلَّ ما أشكل عليَّ من قضايا، فله جزيل الشكروعظيم الامتنان.

كما اتوجه بخالص الشكر والعرفان بالجميل إلى أستاذي العزيز الدكتور منشاوي عبد الرحمن مدرس الفلسفة الإسلامية بدار العلوم جامعة القاهرة على ما استفدت من توجهاته وعلى ما بذل من جهد كبير في قراءة هذا البحث.

كذلك يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير العميق إلى الأستاذين الكريمين / الأستاذ الدكتورعبد الحميد مدكور الأستاذ الدكتور عامر النجار على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث واسداء الملاحظات الصائبة لصاحبه فلهما جزيل الشكر،والجزاء من الله تعالى .

ومن الواجب عليَّ أن أعرب عن أصدق معاني الشكر والعرفان بالجميل إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في أثناء إعداد هذه الرسالة وكل من قدم لي تسهيلات في إنجازها، وأخص بالذكر الدكتور/ ماما جاكيتي رئيس قسم الخطوطات في معهد أحمد بابا لما قدَّمه لي من مساعدة وتسهيلات عند إجراء الدراسة الميدانية، والشيخ جبريل دوكوري نائب رئيس قسم مخطوط المعهد، والشيخ محمود محمد ددب الشهير بحمو وحبيب الله ديكو، وجميع الزملاء في معهد أحمد بابا تبمكتو ولا سيما في وحدة البحث. وآخر دعونا أن الحمد لله ربّ العالمين، وما التو فيق إلا بالله.

المقدمة

تعد جمهورية مالي نقطة الاتصال بين حضارات شمال إفريقيا وجنوبها ، مما جعلها مركزًا تجاريًا مهمًّا، ولا يزال التعايش السلمي بين العرقيات قائما فيها. وقد تميزت بتراثها المكتوب بفضل إمبراطوريتها العظيمة وممالكها الإسلامية المختلفة ، التي بذل فيها السود والبيض جهودًا كبيرة من أجل نهضتها، ومنهم الصوفية الذين أسهموا إسهامًا كبيرًا في مجال الحياة الفكرية ، وذلك باقتناء الكتب والمخطوطات، والعمل على نسخها وتأليفها في مختلف المعارف في التصوف والفقه واللغة والتراجم والتاريخ والتعاليق على بعض الرسائل والكتب ؛ و بإنشاء المكتبات العامة والخاصة وتأسيس المراكز التعليمية في جميع أنحاء البلاد. بالإضافة إلى ذلك أسسوا الممالك الإسلامية ، التي خضعت لممالك البمبارية الوثنية، ولم تنل استقلالها إلا بقيام مملكة ماسينا الإسلامية ، التي اتخذت الشريعة الإسلامية مصدرا للحكم ، فوضع فيها ملوك من الصوفية مؤسسات سياسية قادرة، ونظموا فيها الحياة الاجتماعية والاقتصادية تنظيمًا محكمًا، وشجعوا فيها على طلب العلم، ورعاية العلماء، مما كان له الأثر الأكبر في بروز علماء من الصوفية الأجلاء الذين أسهموا بإنتاجهم الفكرى في نهضة الحضارة الإسلامية خاصة والحضارة الإنسانية عامة ، تلك الحضارة التي حاول الاحتلال الفرنسي طمسها. ولكن هذا التراث الصوفي المكتوب لم ينل عناية كبيرة لدى الباحثين، مما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع الذي جاء بعنوان " التصوف الإسلامى في مالي نشأته وتطوره " .

ومما هو جدير بلفت الانتباه أن هذا البحث يعد الباكورة الأولى التي تُعنى بالصوفية في مالي وبتراثها المكتوب، وهذا التراث الصوفي الثري والغني لا يزال مجهولا مغمورا؛ لأنه لم ترد أية دراسة– على حد علمي– في هذا المجال. ولأهمية هذا الموضوع وضَّح الباحث فى هذه الدراسة أمرين أساسيين :

الأمر الأول: تعريف جزء كبير منه وجمع التراث المكتوب لكل الصوفيين الذين قمت بالترجمة لهم، ووضع لبنة تيسر للباحثين بعد ذلك إعداد بحوث أعمق وأجود في المستقبل .

والأمر الثاني: يرمى هذا البحث إلى تسوية الخلافات بين الجماعات الصوفية والتي نشأت نتيجة بُعد هؤلاء الصوفية عن لب التصوف الإسلامي وحقيقته.

أما الصعوبات التي واجهها الباحث ، فمنها :

– عدم وجود دراسات سابقة في موضوع الدراسة ، والإقامة في ميدان البحث بعيدًا عن الأستاذ المشرف، مما يجعل الاتصال به صعبًا وهو أمر ضرورى لمتابعة خطوات البحث .

– صعوبة الشعر الصوفي، وأصالته، مما يجعل الباحث يقع غالبًا في سوء التأويل وشطط الفهم .

– صعوبة الترجمة من اللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية واللغات المحلية لدولة مالي إلى اللغة العربية .

– قلة الإمكانات المادية التي منعتني من زيارة أماكن كثيرة في مالي ذات تراث صوفي ثري.

– كثير من هذا التراث الصوفي المكتوب في مالي لا يزال مخطوطًا وقرءاته صعبة للغاية ، كما أن حالة هذه المخطوطات سيئة؛ فهي قديمة بالية متآكلة مصابة بالأرضة أو بالبلل، وتوجد أكثرها في مكتبات عائلية خاصة لا تقوى على حفظها، ولا يثق أصحابها بالباحثين إلا إذا استفادوا منهم ماديا، أما الفقراء من الباحثين فلا نصيب لهم في هذا المجال، يحرمونهم من الاستفادة من هذا التراث الثمين .

كما أن مخطوطات المكتبات العائلية الخاصة غير مفهرسة مما يجعل الباحث يتحير في أثناء التوثيق أو حين الاستفادة منها .

منهج البحث

وأما المنهج الذي سار عليه الباحث في هذا البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي التاريخي الذي يُعنى بوصف التصوف الإسلامي في مالي وصفًا تحليليًّا من خلال النصوص الصوفية مع نقده أحيانا وترجيح بعض أفكار مشايخه وأقوالهم مع ما يناسب ذلك من الحيادية والموضوعية وكتب مشايخ متصوفة مالي . معتمدًا في ذلك على أكثر من مئة وسبعين مخطوطا من المصادر الأصلية باللغة العربية عن التصوف الإسلامي في مالي دون إغفال أو إهمال المراجع التي أفاد منها خصوصًا في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية وغيرها .

وقد قسَّم الباحث هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

وقد عرَّفت في المقدمة بموضوع الدراسة، وأسباب اختياره وأهميته، والصعوبات التي واجهت الباحث في أثناء بحثه، والمنهج المتبع في الدراسة.

وفي التمهيد عرَّفت بجمهورية مالي من حيث الجغرافيا والتاريخ، ثم تحدثت عن اقتصادها وثقافتها وأهم الأديان فيها .

ثم جاء الباب الأول بعنوان " نشأة التصوف الإسلامي في مالي"، وفيه ثلاثة فصول.

تناول الفصل الأول قضية " دخول التصوف الإسلامي إلى مالي" ، فعرضت لدخول المرابطية إليها، والتي تعد أولى الجماعات الصوفية التي ظهرت في مالى منذ القرن السادس الهجري، ثم تبعتها دخول الطرق الصوفية تباعًا .

وفى الفصل الثاني الذي كان عنوانه " أهم الطرق الصوفية في مالي " تكلمت فيه عن المرابطية والمراحل التى مرت بها فى مالى ثم ملامحها، ثم مهدت للحديث عن الطرق الصوفية فيها من القادرية والعروسية والتجانية، وعن فروع كل طريقة منها، ثم اختُتِم هذا الفصل بالحديث عن أهم أفكار الطريقة التجانية ومعتقداتها.

وفي الفصل الثالث وعنوانه " أبرز شيوخ الصوفية في مالي " تناولت فيه تراجم شيوخ الصوفية وإنتاجهم الفكري، وذكرت مصنفات كل شيخ منهم تحت قائمة بقدر ما تيسر لي الاطلاع عليها ، وأوردت أمثلة من قصائدهم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفي مدح طرقهم ومشايخها .

أما الباب الثاني الذي كان عنوانه " تطور التصوف الإسلامى في مالي " فقد احتوى على ثلاثة فصول :

جاء الفصل الأول منها بعنوان " مراحل التصوف الإسلامي في مالي " فبدأ الباحث فيه بعرض مرحلة نشأة التصوف الإسلامي في مالي، ثم ذكر فيه حال المجتمع المالي قبل مجئ المسلمين، ومن ثم قبل دخول التصوف الإسلامي إليها وبيان المهام التي جاء بها التصوف الإسلامي، ثم تطرقت إلى عرض مرحلة مقاومة الاحتلال وجهاد المسلمين الوثنيين في مالي، فتناولت الدور الذي أدّاه أئمة المرابطية في مقاومة الاحتلال المراكشي والدور الذي قام به مشايخ الصوفية في مقاومة الاحتلال الفرنسي وفي جهاد الوثنيين، وجهود مشايخ الصوفية في نشر التصوف الإسلامي خاصة والإسلام عامة، ثم ختمت الفصل بالحديث عن مرحلة الوهن والضعف فبينت حالة التصوف الإسلامي الحالية في مالي وشيوخه .

وفي الفصل الثاني وعنوانه " اتجاهات التصوف الإسلامي في مالي وارتباطها بالأوضاع السياسية والاقتصادية "، تحدثت عن أهم اتجاهات التصوف الإسلامى في مالي، وعن علاقة علماءالصوفية بنظام الحكم وأدوارهم التي قاموا بها في إدارة البلاد من خلال منصب الإمامة والتعليم والقضاء والوزارة والملك .

أما الفصل الثالث وعنوانه " النشاطات الدعوية للصوفية في مالي " فقد لخصت فيه النشاطات الثلاثة وهي النشاط الديني الذي من خلاله اتخذوا المناسبات الدينية وسيلة للوصول إلى أهدافهم في نشر الإسلام بين الوثنيين، والنشاط الثاني وهو الثقافي ومن خلاله اتخذوا أيضًا المؤسسات التعليمية وسيلة لتحقيق مآربهم في نشر الإسلام، والنشاط الاجتماعي وهو الأخير وتناولت الدراسة فيه مكانة الصوفية الاجتماعية بين طبقات المجتمع ، ثم دور الصوفية تجاه الأخلاق والعادات والتقاليد ذات الأصول الوثنية في المجتمع .

أما الخاتمة فقد اشتملت على أهم ما انتهى إليه البحث من نتائج.

التمهيد

تعريف دولة مالي

أولًا : مالي من الناحية الجغرافية .

ثانيًا : مالي من الناحية التاريخية .

ثالثًا : مالي من الناحية الاقتصادية .

رابعًا : مالي من الناحية الثقافية .

خامسًا : مالي من الناحية الدينية .

تمهيد

قبل أن نمضى قدمًا فى دراسة هذا الموضوع يجدر بنا تعرُّف دولة مالى من حيث موقعها الجغرافي ومن حيث الجوانب التاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، وذلك من خلال هذا التمهيد عن جغرافية جمهورية مالي ، من خلال النقاط الآتية :

أولاً: مالي من الناحية الجغرافية .

تقع جمهورية مالى بين دائرتى عرض ١٠و ٢٥ شمالًا، وخطي طول ١٢,٤ غربًا و٤٤ شرقًا، ومعنى ذلك أنها تقع وسط مجموعة دول إفريقيا الغربية، حيث ترتبط مالي ببلاد الصحراء شمالًا وببلاد الغابة جنوبًا ؛ فهي دولة قارية لا تطل على بحر ولا محيط بل يمر بها النهران الكبيران ، وهما نهر السنغال([1]) ونهر النيجر([2])، وهي تعد أكبر دول غرب إفريقيا مساحة، وقد جاز أن يطلق عليها "قلب غرب إفريقيا" .

وتحيط بدولة مالي سبع دول هي الجزائر وموريتانيا من الشمال، والنيجر من الشرق، وبوركينافاسو من الجنوب الشرقى ، وساحل العاج من الجنوب، وغنياكوناكرى والسنغال من الغرب.

تبلغ مساحة مالي الإجمالية حوالي ١٢٤٠٢٧٨ كم٢، ويبلغ عرضها من الغرب إلى الشرق نحو ١٨٠٠ كم٢ ، ويقدر طولها من الشمال إلى الجنوب حوالى ١٥٠٠ كم ([3]).

تتنوع أقاليم دولة مالى نوعين : الصناعية والطبيعية.

فالصناعية هي الأقاليم الثمانية الآتية :١- كاي ٢- كوليكورو ٣- سيكاسو ٤- سيقو ٥- موبتى ٦- تمبكتو ٧- غاو ٨- كيدال ومقاطعة باماكو عاصمتها.

---

[1]- ينبع من هضبة فوتاجالون بغينيا كوناكري يمر بمدينة كاي بمالي وفي أرضها يبلغ طوله نحو ٧٠٠كم ، ويصب في المحيط الأطلسي بمدينة سين لويس بالسينغال ويبلغ طوله نحو ١٧٠٠كم.

[2] -ينبع من هضية فوتاجالون بغينيا كوناكري يمر في مالي بكل من: باماكو، كوليكورو، سيقو،موبتي،غاو،أنسونقو، ومن أرضها، يبلغ طوله نحو ١٧٠٠كم، ،ويمر أيضًا بنيجيريا، ويصب في المحيط الأطلسي بنيجيريا، ويبلغ طوله نحو ٤٢٠٠كم.، ويعتبر أكبر الأنهار في غرب أفريقيا. يعقوب دوكوري، جغرافية مالي(باماكو:المكتبة الإسلامية،الطبعة الرابعة،٢٠٠٧) ص٨.

[3]- محمد عاشورمهدي، دليل الدول الإفريقية،(جامعة القاهرة:معهد البحوثوالدراسات الإفريقية،٢٠٠٧)ص٤٣٥

MAUNY R. : Tableau géographique de l'ouest africain au Moyen Age, Dakar, Mémoire de l'IFAN, 1961.p158

وأما الأقاليم الطبيعية فهي:

١- الإقليم الصحراوي:

ويقع هذا الاقليم فى شمال البلاد ، ويمتد من الخط الفاصل بين أنسونجو إلى الحدود المشتركة بين مالي و كل من الجزائر و موريتانيا و النيجر .

٢- الإقليم الساحلي :

يقع الإقليم الساحلى فى وسط البلاد، ويمتد من الخط الفاصل بين أنسونجو وبحيرة فاقبين في الشمال إلى الخط الفاصل بين كاي وموبتي .

٣- الإقليم السوداني :

يقع فى جنوب البلاد، ويمتد من الخط الواصل بين موبتى وكاى إلى الحدود المشتركة بين مالي وكل من بوركينافاسو وغينيا كوناكرى والسنغال [١]. هذا عن جغرافية مالي، أما بالنسبة إلى تاريخها فنخصص للحديث عنه بشيء من التفصيل الصفحات الآتية:

ثانيًا : مالي من الناحية التاريخية.

تعد منطقة مالى من أقدم المناطق التي قامت عليها الحضارات المختلفة منذ العصر الحجري، كما أنها كانت مركزًا تجاريًا بين الشمال والجنوب، بالإضافة إلى أنها كانت نقطة الاتصال بين الثقافات المتنوعة في القارة الإفريقية، خاصة بين شمال القارة وجنوبها، حيث كانت القوافل التجارية تأتى من الجنوب محمَّلة بالذهب والعاج والجلود وريش النعام إلى الشمال، وتعود من الشمال بالفخار وغيرها من السلع إلى الجنوب، ومن هنا أصبحت هذه الحركة التجارية عاملًا من العوامل التي أدت إلى قيام الإمبرطوريات المختلفة فى تاريخ هذه البلاد [٢]، وعلى هذا الأساس يتناول هذا التمهيد تاريخ هذه الإمبراطوريات المختلفة منذ قيامها حتى الوقت الحالي ، لكي يتضح لنا ما يهدف إليه هذا البحث.

---

[1] –Gaudio Attilio le mali : paris.ed karthala 1988P.8 KONARE : Panorama historique du Mali dans : culture et civilization islamique. Rabat isesco 1988 . P10.
Abd Al Gadir :New enwencyelopdia of Arabic (London : ed John Midleton v3 . .2008) p.215 .
BRASSEUR P : Bibliographie Générale du Mali, Dakar, IFAN/Catalogues et Documents, 1964 et 1976.p57

[2]– مادهويانيكار ، أحمد فؤاد بليغ (مترجم) ، الوثنية والإسلام في تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب أفريقيا (القاهرة : المجلس الأعلي للثقافة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨) ص ١٧٠ – ١٨٠ ، محمد عاشور مهدي، دليل الدول الأفريقية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣٦ ، فيج جي دي . د السيد يوسف نصر (مترجم) تاريخ غرب أفريقيا (القاهرة : جامعة أسيوط – كلية الآداب ، ط١ ، ١٩٨٢ ، ص ٢٧).

ينقسم تاريخ دولة مالي إلى العصور التاريخية التالية :

- العصر الإمبراطوري ويـــشمل تـــاريخ الإمبراطوريـــات الآتيـــة : إمبراطوريـــةغانا ، وإمبراطورية مالى ، وإمبرطورية سنغاى، ولا نستطيع تحديد بداية هـــذا العـــصر؛ لأن بعض المؤرخين حاولوا تحديد بدايته ولم يتفقوا على رأي واحد ؛ فمنهم من يرى أنه بـــدأ قبل ميلاد المسيح –عليه السلام، ومنهم من يرى أنه بدأ بعد ميلاد المسيح – عليه السلام، وينتهي ببداية العصر المملوكي الاحتلالي عام(١٠١٠هـ= ١٥٨٩ م).
- العصر المملوكي والاحتلالي: يضم تاريخ الممالك الإسلامية وغير الإسلامية التي قامت بين عامي (١٠١٠ – ١٣٣١= ١٥٨٩– ١٩١٠م)، وتاريخ الاحتلال الفرنسي عام
- (١٣٠١–١٣٨١= ١٨٨٠–١٩٦٠) منذ أن وضع قدميـــه علـــى أرض هـــذه المنطقـــة، وسيطرته عليها حتى خروجه منها.
- العصر السياسي الحديث: يتناول تاريخ دولة مالي منذ استقلالها من ســيطرة الاحـــتلال الفرنسي حتى العصر الحالي [١] .

ولمزيد من الإيضاح والبيان نعرض هذه العصور التاريخية الثلاثة بشيء من التفـــصيل على النحو الآتي

---

(1)DESCHAMPS H., Ed, : Histoire générale de l'Afrique, Paris, **presses** Universitaires de France, 1970, 2 vol ,p282 AJAYI A. and CROWDER N. Ed : History of west Africa, vol. II, Longman, 1974, reedite en 1987. ARCIN A. : Histoire de la Guinée Française, Paris, A. challamel. 1911.p25,54, 78,98, BAZIN J.: Commerce et prédation. L'Etat Bambara de Segou et ses communautés Marka . Communication au Congres d'Etudes Manding. Londres, 1972. <<Guerre et servitude a Ségou >> in L'Esclavage en Afrique noire précoloniale, édité par CI. Meillassoux, Paris, Maspero, 1975 p 64,51,89, COQUERY VIDROVITCH C et MONIOT H. : L'Afrique noire de 1800 a nos jours, Paris, Presses Universitaires de France, 1974. DELAFOSSE M. : Haut – Sénégal – Niger (Soudan Français), Paris, Larose, 1912, 3 vol.

١- العصر الأمبرطوري.

أ-إمبراطورية غانا [١].

تعد إمبراطورية غانا أولى الإمبراطوريات التي مرت في تاريخ هذه الدولة، أمـــا تحديـــد زمن بداية قيامها فلا نعرف عنه شيئًا وذلك لسببين .

الأول : عدم وجود إشارة إلى هذا الأمر في بطون الكتب والمؤلفات ٠

الثاني : عدم توصل الدراسات الحفرية إلى نتائج دقيقة في هذا الصدد٠

كانت إمبراطورية غانا محدودة فى الشمال بالصحراء الكبرى ، ومن الجنوب بنهرى السنغال والنيجر، ومن الغرب بموريتانيا الحالية، ومن الشرق بحوض نهر النيجر. و الواضح أن هذه الإمبراطورية قد شهدت فى فترة حكمها أسرتين حاكمتين على مر تاريخهـــا ، وقـــد ثـــارت الأسرة الثانية على الأسرة الأولى وهى الأسرة السونيكية فأسقطت نظامها وتولت هي حكـــم الإمبراطورية .و عدد ملوك الأسرة الأولى اثنان وعشرون ملكًا – كما حكاه المؤرخ الإفريقي تمبكتي فى كتابه" تاريخ السودان" منذ أكثر من ثلاثة قرون قائلًا: إنّ هذه الدولـــة التـــي هـــي مملكة غانا القديمة ملوكُها أربعة وأربعون ملكًا وأن اثنين وعشرين ملكًا من هؤلاء الأربعـــة والأربعين قد عاشوا قبل مجيء بعثة النبى محمد – عليه الصلاة والسلام- وعـــاش الاثنـــان والعشرون الآخرون بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم[٢].

فمن ثم نرى أنّ الملوك الذين عاشوا قبل مجيء المصطفي –عليه الصلاة السلام- وفي زمن بعثته ، كانوا اثنين وعشرين، ولم يكن يعرف رعاياهم شيئًا عن الإسلام؛ إذ لم ينتشر الإسلام فى قلب غانا إلا في عهد المرابطين الذين استولوا على مناطق شاسعة منها، فنشروا الإسلام بين شعبها في حوالى منتصف القرن الخامس الهجري، وفى عهد ملوك الأسرة الأولى كانـــت

---

[1] -أولًا كلمة غانا في اللغة السونيكية تعني القيادة العسكرية، ثم اتسع مدلولها وأُطلقت على العاصـــمة التـــي كانت مقرا لهذه القيادة، ثم اتسع مرة آخرى وأطلقت على كل المناطق التي كانت تحت هذه القيادة ثانيا، ومما ينبغي الانتباه له أن غانا القديمة هذه ليست هي غانا الحديثة، لكن بعد زوال غانا القديمة وانتشار الإسلام فيها فرَّت القبائل الوثنية إلى منطقة غانا الحديثة وعاشوا في أرضها، ثم قامت عليها حضارة الأشانتي وغيرها من حضارات غانا الحديثة . د . صلاح الدين المنجد ، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، بيـــروت ، دار الكتاب الحديد ، ط٢، ص ١٠٤ .[1]- إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئـــة المـــصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠،ص ص١٦-١٧

[2]- السعدي عبد الرحمن ، هو داس (محقق) تاريخ السودان ، باريس،،مطبعة اتجي،١٩٥٤، ص ٧ ، محمد عاشور مهدي، دليل الدول الأفريقية ، المرجع السابق ، نفس الصفحة ، أحمد إلياس حسني ، العلاقات بـــين مملكة غانا والمغرب العربي بين القرنين الثاني والخامس الهجري (رسالة دكتوراه) : جامعـــة القـــاهرة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، ١٩٨٢، ص ١٠٢ .

عاصمة غانا قبل الإسلام هى قنب كما ذكر كعت في كتابه قا ئلًا: " إن عاصمة الملوك الأوائل من الأسرة الأولى قبل الإسلام هى قنب " (١) وبناء على ما سبق سنتحدث عن ملك من ملوك الأسرة الأولى بشيء من الإيجاز .

- منسا فاكولي

اعتمادًا على الروايات الشفوية والأقاويل المتداولة بين الناس والآثار القديمة التي خلفها هذا الملك، نستدل على أن منسافاكولي ملك الإمبراطورية قبل بعثة النبي- صلى الله عليه وسلم – قد سافر إلى مكة منذ العصر الجاهلي، وبعد عودته من هذا السفر بنى بيتًا على غرار الكعبة المشرفة على الحدود بين مالي وغينيا ، ووضع فيه أصنامًا بنفس عدد الأصنام التي كانت موجودة فى الكعبة آنذاك وسماهم بمثل تسمياتهم، ثم أطلق على هذا البيت اسم " الكعبة بلو " (٢). وفي عصره كانت كعبة بلو قبلة لسكان غانا الوثنيين. فهذا عن منسافاكولي وهو من ملوك الأسرة الأولى الذين حكموا الإمبراطورية قبل بعثة النبى- صلى الله عليه وسلم. وأما عن كيامغا وهو ملك من ملوك الأسرة الثانية الذين حكموا الإمبراطورية بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فنخصه بهذه السطور:

- كيامغا

كيامغا كلمة السونيكية . وهى مركبة من جزءين هما (كيا) و(مغا) ومعنى الأولى فى اللغة السونيكية صاحب، والثانية تعنى الذهب ، ومن هنا كان أصل إطلاق هذا الاسم على الإمبراطور برمدانة " كما قال ابن خلدون :" إن أول من أسلم منهم ملك اسمه " برمدانة (٣)"

وفى الحقيقة أن برمدانة لم يكن أول إمبرطور فى غانا ، لكنه كان أول ملك في عهده أدخلت طائفة من المرابطين الإسلام فى غانا ثم نشرت الإسلام بين شعبها رغم وثنية حكامها، وظل الإسلام ينتشر شيئًا فشيئًا حتى انقسمت عاصمة غانا إلى مدينتين: مدينة للمسلمين ومدينة

---

[1]- كعت محمود ، هوداس وديلافوس (محقق) ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، وذكر وقائع التكرور ، وعظائم الأمور وتفريق العبيد من الأحرار،باريس ،١٩٦٨، ص ٢٣ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، القاهرة، مطبعة بولاق ص ١٨١، د. صلاح الدين المنجد، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين بيروت : دار الكتاب الجديد ، ط١ ، ١٩٨٢ وحاليًا تقع مدينة قنب، على بعد مئتي كم شمال باماكو بقرب مدينة سيقو وهي كانت العاصمة الأولى لغانا ، وعندما دخل الإسلام في غانا تحولت عاصمتها إلى كومبي الصالح .

[2] –كلمة منسا في اللغة الماندبغية تعني السلطان .

٣) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، القاهرة، مطبعة بولاق ص ١٨١، د. صلاح الدين المنجد، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين بيروت : دار الكتاب الجديد ، ط١ ، ١٩٨٢

للوثنيين. وقد تحدث البكري عن ذلك قائلًا: " إنه كان بين رعايا الملك المسلمون منهم والوثنيون . أما الوثنيون فيسجدون للملك ويضعون رءوسهم موطئ قدميه . أما المسلمون فيضعون أذرعهم إلى صدورهم احترامًا له . ويقول أيضًا: إنّه كان فى جيش الملك مئتا ألف مقاتل جميعهم من حملة السهام . وأخيرًا يذكر أنه عندما مات الملك تولى بعده خاله "[١] .

وهكذا استمر حكم الأسرة الثانية فى الإمبراطورية حتى زوالها في القرن الحادى عشر الميلادي، وهكذا عاشت الطائفتان جنبًا إلى جنب ؛ فالمسلمون يقيمون الصلوات الخمس فى مساجدهم، حيث بلغ عدد تلك المساجد اثني عشر مسجدًا آنذاك، ويعبدون الله الواحد الذي لا شريك له في ملكه ، ويؤمنون بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وأما الوثنيون فيعبدون المعبودات المختلفة، فمنهم من كان يعبد الثعابين التي كانت موجودة فى الغابة القريبة من قصر الإمبراطور، وكان سَدَنته يقدمون له القرابين من البشر معتقدين أن هذا الأمر يعطى للإمبراطورية الرخاء ويحفظها من الزوال ويحفظ أموال شعوبها من الهلاك [٢].

وكانت في عاصمة غانا أحياء خاصة للوافدين الذين يفدون إليها من البلدان المختلفة حيث كان للعرب الوافدين من الشمال حي خاص بهم، كما كان لولوف([٣]) الوافدين من الجنوب حي خاص بهم، وظل السكان الأصليون للبلد والوافدون إليه يقيمون شعائرهم المختلفة فى حرية تامة.

---

[1] –تاريخ ابن خلدون (بيروت : دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر ، المجلد السادس) المرجع السابق ص ٢٠١ لمزيد من المعلومات انظر في كعت محمود ، تاريخ الفتاش ، المصدر السابق ، ص ٢٢ ، السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان ، المصدر السابق ص ٧ .

عبد الله بن عبد العزيز البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (ألمانيا الاتحادية ، مورلنباخ ، جامعة فرانكفورت ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، ١٩٩٢)، ص ٣٦٤ .

[2]) –عبد الله بن عبد العزيز البكري ، نفس البيانات، المسالك والممالك ، المجلد الثاني، الصفحات ٣٦٣ – ٣٦٥ – ٣٦٦ – ٣٦٨ .

وله أيضًا المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المرجع السابق، ص ص ١٧٥ – ١٧٦ .

[3]) قبيلة من أهم قبائل السنغال حاليا، وهي تحتل المركز الأول بين قبائلها من حيث العدد والحجم.

وكانت إمبراطورية غانا تشمل خمسة أقاليم ، وكل إقليم من هذه الأقاليم الخمسة يعتبر مملكة قائمة بذاتها ، وهي:

– مملكة مالي – مملكة غانا – مملكة صوصو[١] – مملكة تكرور[٢] – مملكة كوكو[٣].

في عام(٤٧٥هـ= ١٠٥٤م) غزا المرابطون " أوداغشت "([٤]) عاصمة البربر فاستولوا عليها ، وفي عام(٤٩٨هـ= ١٠٧٧)م حاصر المرابطون كومبي الصالح ([٥]) بقيادة يحيى بن عمرو وعبدالله بن ياسين فسقطت وأسلم على أيديهم كثير من سكانها كما انضم كثير إلى جيشهم. وخلال غزو المرابطين لغانا ، اغتنم الملوك الذين كانوا تابعين لغانا فرصة الانفصال فانفصلوا عنها ، كما انفصلت عنها مملكة مالي بقيادة سنجتاكيتا الذي انحدر من سلالة بنلول بن البلال وصوصو بزعامة سوماكوركنتى [٦] .

ب– إمبراطورية مالي [٧].

قامت إمبراطورية مالي على أنقاض إمبراطورية غانا عام(٦٥٦هـ= ١٢٣٥م) فأنشأتها قبيلة الماندیغ بقيادة سنجتاكيتا الذى انحدر من سلالة بنلول بن البلال ، وهو سنجتاكيتا بن نارى مغابى بكون بن بلوبن بلينى بن بمرى كين بن قلب بن دملى قلب بن لطلى قلب

---

[1])– تقع حاليا في غينيا كوناكري .

[2]) –تقع في السنغال.

[3]) –تاريخ اليعقوبي ، المجلد الأول ص ١٩٤ ، د . صلاح الدين المنجد ، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ . وقد يطلق على مملكة كوكو كلمة "غاو"في مالي حاليا ،وتوجد في جمهورية السودان حاليا قبيلة تطلق عليها كلمة"كوكو"،لكن لا أعرف مدى ارتباطها بقبائل غرب إفريقا.

[4]) عاصمة البربر القديمة كانت في طرف صحراء إمبرطورية غانا.

[5])كانت عاصمة الملوك الأوئل لإمبراطورية غانا ثم تحولت إلى كومبي الصالح بعد دخول الإسلام إليها .

[6])- ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ ، طبعة بيروت، المرجع السابق ، ص ٢٠١ ، البكري ، المسالك والممالك، المجلد الثاني المرجع السابق، ص ٣٧٢ – ٣٧٣.

٦)إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠،الصفحات ٢٤،٢٦،٢٨،٣٧،٣٩،٤٢ .

[7]) –أُطلقت كلمة مالي على مملكة من ممالك غانا القديمة أولًا ، ثم أُطلقت ثانيًا على الإمبراطورية الكبرى التي أسسها منساسونجاتا كيتا ، و أطلقت ثالثا على المملكة التي أسسها سانموري توري ثم أطلقت رابعًا على دولة مالي الحالية، وكلمة مالي تعني في اللغة الماندیغية فرس البحر وأطلقت عليها رمزا لقوتها. صلاح الدين المنجد ، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، المرجع السابق، ص ١٠٤ .[7] – إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، المرجع السابق،ص ص١٦–١٧ إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، المرجع السابق ص ص ١٤–١٧

بنلول بن البلال بن رابعة فكان جميعهم مسلمين، وملوكًا لمملكة مالي قبل أن تصير إمبراطورية[١]، فغزت مملكة مالي مملكة صوصو وانتصرت عليها بقيادة سنجتاكيتا ، الذي استولى على جميع البلاد التي استقلت عن إمبراطورية غانا فضمها إلى مملكته فأسلم له جميع الملوك بالوفاء والطاعة، فمن ثم استطاع سنجتا أن يعيد للمنطقة قوتها ووحدتها حيث وجد سنجتا قبائل المانديغ منقسمة إلى شيع وطوائف، فوحدها فى دولة متفوقة، وجعل منها أسرة واحدة ، وقد خضعت له البلاد الأخرى التي فقدتها غانا ، فضمها إلى إمبراطورية مالي، التي كانت في البداية تقع بين سقرى([٢]) وكيتا([٣]) ثم توسعت بفضل الفتوحات التى قام بها حتى امتد سلطانه إلى الأنهر الثلاثة : النيجر والسنغال وغامبيا [٤]. فضمت مملكة صوصو وكوكو والتكرور، وغانا ومالي بفضل قادة جيشه فاكولى وسريما وتيرامغا .وتوفي سنجتاكيتا مؤسس الإمبراطورية عام(٦٧٦هـ= ١٢٥٥م) فانتقل الملك إلى أيدى أبنائه الثلاثة: ١- دوارولينكوم المعروف بمنساولينى ٢- والي ٣- خليفة ، ثم إلى أيدى أبناء أخته أبى بكر الأول ، ثم تغلب على الملك مولى من مواليهم اسمه ساكورا ، فحج إلى مكة ، وقتل فى السودان في أثناء عودته من الحج عام(٧٢١هـ= ١٣٠٠م) ، وبعد مقتله استعاد الملك منسا أبو بكر الثاني[٥]- الذي قام بالرحلة الاكتشافية عبر المحيط الأطلنطي بهدف اكتشاف حدود الأطلنطي، وذكر العمري حكايته في كتابه " مسالك الأبصار " وقال : " عندما سئل السلطان منساموسى في القاهرة – في أثناء ذهابه إلى الحج كيف وجدت كل هذه القوة أجاب : بأن الحاكم الذى سبقنى لم يكن مؤمنًا بأن ثمة استحالة فى اكتشاف البحر المجاور(يقصد المحيط الأطلنطي)، لقد رغب في أن يكشف هذا المحيط بعدما اقتنع بالخطط التي وضعها ، وقد أعد مئاتي سفينة حملها كلها بالرجال ،وشحن عددًا آخر من السفن بالذهب والماء ومواد التموين الكافية لمدة سنوات ، وقال لهم: لا تعودوا إلا إذا وصلتم أقصى المحيط أو إذا نفد طعامكم وشرابكم ،ومضى وقت طويل قبل أن يعود أحد منهم . وفى النهاية عادت سفينة واحدة فقط من تلك السفن .

وعندما سئل عن الباقين أجاب بأن منتصف المحيط وتياره الشديد قد دخلت فيه جميع السفن إلا أنها غرقت جميعها ،وأما أنا فعدت إلى حيث جئت ولم أدخل فى التيار . لكن السلطان لم

---

[1]- د محمود عبد القادر أحمد – المسلمون في غينيا (القاهرة ط ١ : ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) ص ٣٣ .

([2])تقع في شرق غينيا كوناكري

([3]).تقع في غرب مالي ، وهي تبعد عن عاصمة نحو ١٦٨كم٢

[4] –عرفت هذه الأنهار الثلاثة عند الجغرافيين المسلمين قديمًا باسم النيل .

[5] –تاريخ ابن خلدون ، طبعة بيروت ، جـ٦ المرجع السابق، ص ٢ ، كعت محمود ، تاريخ الفتاش المصدر السابق ص ٨ .

يصدقه ، فأعد ألفين من القوارب بالقوة المناسبة ، وسافر هو مع رفقائه فى المحيط ، فتــرك لي السلطة ، فصرت أنا الحاكم المطلق للإمبراطورية[١].

وهكذا تولى منساموسى الحكم بعد أبيه أبي بكــر الثــاني عــام(٧٢٨هـ= ١٣٠٧م) ، ويُعــدُّ منساموسى من أعظم سلاطين الإمبراطورية وأبرزهم شخصية فى تاريخها، حيث اشــتهرت الامبراطورية فى عهده في البلاد العربية والأوربية ، وبفضل ازدهارها الاقتصادي وثروتها ،وبفضل مناموسى اتسعت الإمبراطورية ، وانضمت معظم دول إفريقيا الغربيــة. وإن جــاز القول يمكن أن نطلق عليها اتحاد دول غرب إفريقيا ،الذي يبلغ مساحته نحو ٦٥٠٠٠٠٠كــم٢ تقريبًا ، والذي يتكون من ١٦ دولة [٢] حتى الصحراء [٣]. وقد قام منساموسى برحلة بطولية إلى مكة مرورًا بكل من توات [٤] الطرابلس الغربي[٥] ثم القاهرة [٦].

ومن المعروف أن منساموسى قبل مغادرتــه الإمبراطوريــة جمــع زكــاة عظمــاء الإمبراطورية وكبار تجارها وأنفقها على المدن التي مر بها فى طريقه إلى الحج ، فى بنــاء المساجد، وإنشاء المدارس التعليمية، ومساعدة المحتاجين . حيث حمل معه أكثر من عــشرة آلاف حاج ومئة جمل، يحمل كل منها ثلاثة قناطير من الذهب . وقيل أنه أنفق فى القــاهرة حتى انخفضت قيمة الذهب في أسواقها انخفاضًا كبيرا لمدة طويلة [٧].

وبناء على ما سبق، نقول: كان منساموسى إمبراطورًا فقيهًا فى دينه وزاهــدًا فــي ملكه، بعيدًا عن كل التهم التي اتُّهِم بها بحجة أنه كان مسرفًا في أموال الإمبراطورية؛ غايــة

---

[1] –ابن فضل الله العمري ، محمد عبد القادر خريسات (محقق) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (أبــو ظبي ، مركززايد للتراث والتاريخ ، جــ ٤ ، ط١ ، ٢٠٠١) ص ٧٠ – ٧١ .

[2] –البشير علي الكوت، المنظمات الإقلمية في إفريقيــا دراســة لأبــرز المنظمــات (بنغــازي، دارالكتــب الوطنية،الطبعة الأولى، ٢٠٠٨)ص١٤٣

[3]– نفس المؤلف، ونفس المرجع ، ص ١٣٥ .

[4]- تقع حاليا في الجزائر،وكانت واحة لتزويد ركاب حجاج غرب إفريقيا بالزاد والماء وتوفير الكلأ لجمالهم، وترك بها مسا موسى عددا من أصحابه في أثناء توجهه إلى مكة، وكانت سوقا مهما من أسواق حجاج غرب إفريقيا ، وقد حاول اليهود السيطرة على اقتصادها في عهد المغيلي.

[5]– كانت محطة مهمة من محطات حجاج غرب إفريقيا.

[6] –يبلغ عدد أسواقها خمسين سوقا، ومن أهمها الغلال والخشب وغيرها. مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلدان السادس والسابع ، ٧٤-١٩٧٥م، ص١٥٩

([7])– نفس المرجع ، ص ٧١. تاريخ ابن خلدون ،المرجع السابق ، طبعة بيــروت جــــ ٦ ، ص ٢٠٢ ، السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، المصدر السايق ، ص ٥ ، كعت ، تاريخ الفتــاش،المــصدر الــسابق ص١٨

ما هنالك أن الاحتلال الفرنسي يسعى إلى تشويه صورته، وذلك لعدة أمور، منها خوفهم من ظهور رئيس مصلح متدين ينهج نهجه، ويمنعهم من اغتصاب ثروة بلاده.

وبفضله كان الإسلام دينًا رسميًا للإمبراطورية ، يعتنقه الحكام الأرستوقراطيون وأغلب السكان وبعض السكان الوثنيين ، فبنيت عدد كبير من المدارس والمساجد والجوامع فى المدن المختلفة مثل غاو وتمبكتو([١])، وجنى([٢]) وديريه وغوندام([٣]) ومن أبرز جوامعها : جامعة سنكورى وسيد يحيي وجيغريبار فى تمبكتو،وجامعة جنى في مدينة جنى([٤]) وغيرها.

وكانت تلك الجوامع قبلة العلماء والمثقفين وأبناء الطبقات المتوسطة والفقيرة الطالبين للعلم المتعطشين للمعرفة من عظماء المدينة وكبار تجارها ، وكانت تدرس فيها العلوم الإسلامية من فقه وفلسفة وفلك وبلاغة [٥].

وكان الإمبراطور نفسه يتولى القضاء فى العاصمة ويساعده فى ذلك قضاة المدن الكبري والفقهاء. وكان فى كل مدينة كبيرة قاض ، وكان القضاء يجرى وفقًا للشريعة الإسلامية والتقاليد الموروثة ، وكانت القوانين نزيهة وصارمة وتنفذ بدون هوادة ولا محاباة. وقد توفى منساموسى عام(٧٦٢ه= ١٣٤١ م)، ومن أشهر خلفائه الذين جاءوا من بعده في الخلافة :

– مغان الأول ابن كنكوموسى (٧٥٨-٧٦٢ه= ١٣٣٧-١٣٤١ م).- سليمان أخ منساموسى (٧٦٢-٧٨١ه= ١٣٤١-١٣٦٠). – نامامغان أحد أواخر أباطرة مالى . [٦]

والحقيقة أنه منذ وفاة منساموسى ،ضعفت الإمبراطورية بسبب الخلافات التي نشبت بين خلفائه حول الحكم وبسبب الحركات الانفصالية [٧]عنها ، حيث انفصل عنها الولوف([٨]) في المناطق الغربية، والطوارق[٩] في المناطق الشمالية، والموشي والهوسا[١] في المناطق الجنوبية، واضمحلت فى القرن ١٧م [٢].

([1]) سبق الحدبث عنهما في التمهيد ص ٢
([2]) لمزيد من التفاصيل انظر ص ٤٣ .وفي تاريخ السودان ص٩
([3]) يعدهما ضواحي تمبكتو
([4]) لمعرفة مزبد من التفاصيل انظر في ص ص ٤٣-٤٤

([5]) –العمري ، مسالك الأبصار ، المرجع السابق ص ٥٩ .

[6] –ابن خلدون، المرحع السابق، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ جـ ١ ، ط بيروت .

[7] –قبيلة من أهم قبائل بوركينا فاسو حاليا، وهي تأتي في المركز الأول من بينها.

[8] – ولمزيد من التفصيل انظر ص ٧.

[9] –قبيلة من قبائل البربر، وهي منقسمة بين كل من مالي ، والنيجر، والجزائر، وموريتانيا، وبوركينا فاسو.

ج- إمبراطورية سنغاي

تعتبر إمبراطورية سنغاي ثالثة الإمبراطوريات الثلاثة الكبرى التي مرت في تـــاريخ دولة مالي خلال القرون الوسطى ، وقد قامت على أنقاض إمبراطورية مـــالي عـــام(٨٨٦هـ= ١٤٦٥م) . أسستها قبيلة سنغاي بزعامة سوني علي بار بن سليمان داو، الذي ورث الملك عن عمه سليمان دامان ، وتمكن من فتح عدة ممالك ، فضمها إلى مملكته؛ حيــث غــزا مملكــة الطوارق فى الشمال، وجعلها من ممالكه ، ثم استولى على الموشى في الجنوب عام(٨٩٤هـ= ١٤٧٣م)، ثم غزا المناطق الغربية، ففتحها عام(٨٩٨هـ= ١٤٧٧م) .

ومن هنا أنشا سونى علي إمبراطوريته الواسعة القوية، والتي تمتد على منحنى النيجر من جنوبى مدينة غاو إلى مدينة جنى ، ويعيش فيها أجناس مختلفة من الطــوارق والولــوف والموشى وغيرها . ومما ساعده على ذلك أنه أخذ الإسلام هدفًا للوصــول إلـــى أطماعـــه السياسية، لكن عندما اكتُشِف أنه اعتنق الإسلام لأطماع سياسية، وهو في حقيقته ليس كذلك ، ثار الناس عليه فقتلوه عام(٩١٣هـ= ١٤٩٢م) . وبعد قتله تسلَّم ابنه الملك بكرى زمام الأمـــور وسار على نهج أبيه ، ولما ظهرت إهانته للإسلام أغرى العلماء لمحمد تورى قائد جيش أبيه بخلعه عن الملك ، فنفذ ذلك، وشن عليه الهجوم، فهرب إلى مدينة دندي، فتولى محمد تـــوري عرش سنغاي في إبرايل عام(٩١٤هـ= ١٤٩٣م) ، فبدأ عهد الأساكين بقيادة أسكيا محمد .

وكان أسكيا محمد عابدًا ورعًا ، سليم العقيدة ، وقد سار على نهج غير نهج ســـابقيه؛ حيث اتبع تعاليم الإسلام في تسيير حكمه ، فرحب بالعلماء الذين طردهم سوني في أثناء ملكه للإمبراطورية، وتبادل معهم الود ، فساعدوه بالآراء والفتاوى. وفى عـــام(٩١١هـ= ١٤٩٠م) سافر أسكيا محمد إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وقد نال حجه شهرة كبيـــرة كـــشهرة حـــج منساموسى ، وقد أعاد لكثير من الجوامع التعليمية منزلتها العلمية بعد فقدها كما أعـــاد إلـــى مدينة تمبكتو مكانتها التجارية والثقافية بعد فقدها؛ فتقدمت إمبراطورية ســـنغاي فـــي ظـــل الأساكين تقدمًا عظيمًا فى المجالات المختلفة خاصة المجال الثقافي والديني والعلمي ، إذ كان أباطرة سنغاي متدينين ومتعلمين ، فبنوا المساجد والمدارس، كما أعادوا بناء الجوامع، كجامع سنكورى في تمبكتو وجامع جنى وجامع غاو ، وشجعوا على تعليم العربية المبني على قراءة

---

[1] -هي قبيلة تقطن حاليا في غانا ونيجريا.

[2] - إبراهيم علي طرخان، قيام إمبراطورية مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنـــشر، ١٩٧٠، ص٢٠-٢١

Ly-TALL. M. L'empire du Mali, Nouvelles Editions Africaines, Dakar-Abidjan, 1977

القرآن الكريم وعلومه الأخرى، كالتوحيد والتاريخ والشريعة (القانون) وقواعد اللغة. وقد ظهر في تاريخ إمبرطورية سنغاي كبار العلماء في مختلف الفنون مثل أحمد بابا ، ومحمد بقيوقو، والمؤرخون مثل محمود كعت ، وكل هؤلاء العلماء يتمتعون بتعظيم كل الطبقات المختلفة وإجلالهم ، ويحظون بهدايا الملوك والأغنياء من الأراضي والأرقاء والذهب والفضة(١).

وفى عام(٩٣٤هـ= ١٥١٣م) انضمت ممالك كثيرة إلى مملكة سنغاي، حيث غزا أسكيا محمد بلاد الهوسا في الشرق ، وانتصر عليها ، وكان هذا الانتصار عاملًا مهمًّا فى توسيع دائرة إمبراطوريته، ثم بسط أسكيا محمد سيطرته على الممالك المجاورة له، مثل مملكة التكرور، ثم امتد نفوذه إلى مناطق جنوب الصحراء ، فمن ثم اشتملت على المناطق الشاسعة من الممالك المجاروة له، وفى عام(٩٣٨هـ= ١٥١٧م) ، أُصيب أسكيا محمد بالعمى ، فخلعه ابنه أسكياموسى عن العرش، وتولى هو حكم الإمبراطورية . وأشهر خلفائه :

- أسكياموسى (٩٣٨-٩٥٧= ١٥١٧-١٥٣٦) - أسكيا إسماعيل (٩٥٨-٩٦٠هـ= ١٥٣٧-١٥٣٩) - أسكيا إسحاق (٩٦٠-٩٧٠هـ= ١٥٣٩-١٥٤٩) .- أسكيا داود (٩٧٠-١٠١٠هـ= ١٥٤٩-١٥٨٩)

وبعد وفاة أسكيا محمد بدأ نجم الإمبراطورية في الأفول بسبب الخلافات الداخلية التي نشبت بين أبناء الأساكين من أجل السيطرة على السلطة ، وبسبب غزو المغاربة الذين اغتنموا تلك الفرصة وسيطروا عليها، ثم اضمحلت بسبب حركات انفصالية عنها، حيث انفصلت عنها الممالك التالية:

مملكة البمبارا (٢) فى سيقو، وسكاسو، ومملكة التكرور، ومملكة الماديغ، ومملكة ماسينا وغيرها.

---

[1]- كعت ، تاريخ الفتاش المصدر السابق ، ص ٤٠ – ٥٠ ، السعدي ، تاريخ السودان المصدر السابق ص٢٥.

Cissoko . Sekene Mody tombouctou et empire songhay epanoussement du Soudan giérien aux xv – xvi siècle paris : Montreal . Srmattan . 1996) P . G Mahmoud zoubre Ahmad baba de tombonctou (1556 – 1627) savie et son oeuvre (paris universite de Sorbonne department d is lamologie 1977) p . EX.

[2] – في لغة المانديغ تعني كلمة البمبارا (الكافر) أي الذي كفر بالله وأشرك به ، لكن بعد دخول الإسلام في غانا وانتشاره تحولت الكلمة عن معناها الأصلي، فصارت علما على القبيلة التي تفوقت على سائر القبائل المالية بعبادة الأصنام ، فمن أبرز عشائر هذه القبيلة عشيرة كوليمبالي و تراوري و جارا كونارى وغيرها .

٢- العصر المملوكي الاحتلالي.

يشمل هذا العصر تاريخ الممالك الإسلامية وغير الإسلامية، التي قامت على أنقاض إمبراطورية سنغاي وتاريخ الاحتلال الفرنسي منذ أن وضع قدميه على أرض هذه المنطقة عام(١٣٠١= ١٨٨٠م) ، ومن الجدير بالذكر أن هذا العصر يعد أسوأ عصور تاريخ هذه الدولة، وذلك لعدة أمور منها:

الأمر الأول : انقسام الإمبرطورية الكبرى إلى عدة ممالك، مما أدى إلى عدم توحيد الصفوف بين القبائل المالية، بحيث سعت كل قبيلة إلى إقامة مملكتها الخاصة بها، فمن ثم ظهرت الممالك التالية :

- مملكة الطوارق فى تمبكتو .
- مملكة البمبارا في سيقووسكاسو .
- مملكة الفولانى فى ماسينا وفوتاتور.
- مملكة المانديغ في ماندي، وسنتحدث عن هذه الممالك بشيء من الإيجاز .

الأمرالثاني : هو فشل جهاد الممالك المتعددة ضد الاحتلال الفرنسي قي هذا الغصر بسبب الخلافات التي نشبت بينهم، حيث وقعت الحرب بين كل من مملكة التكرور الإسلامية بزعامة الحاج عمرتال الفوتي [i]، ومملكة الفلانى الإسلامية في ماسينا ، والطوارق في تمبكتو من جهة وبين كل من مملكة البمبارا في سيقوومملكة البمبارا في كارتا من جهة أخرى [(١)] .

الأمر الثالث : هو اختطاف ملايين من الأفارقة من قبل الاحتلال الأوربي واغتصاب بناتهم ، وقتل بعض رجالهم رميًا بالرصاص عبر المحيط الأطلنطي ، وإلقاء بقيتهم في المحيط، ثم استعباد كثيرين منهم في أوربا وأمريكا الشمالية ، إلى جانب إجبارهم على

---

[1]- ليس هدفنا هنا أن ندخل في ملابسات النزاع بين هؤلاء الملوك، وتحديد من كان على الصواب ومن كان على الخطأ، بل نحيل القارئ إلى عدة مؤلفات في هذا الموضوع أحدها للحاج عمر بعنوان سيف الحق المعتمد في بيان ما وقع بين الحاج عمر الفوتي وأحمد بن أحمد ، معهد أحمد بابا ، الرقم ٨٣٩،٨٠٦٢٨٦، مكتبة مماحيدار، الرقم ١١٩ وثانيها عنوانه : بيان ما جرى بين الإمام أحمد وبين الحاج عمر بن سعيد الفوتي، معهد أحمد بابا الرقم ٤٢١٢و٩٢٧ ، ثالثها للإمام غوث كرومغ بعنوان تاريخ باماكو ، مخطوط في حيازة أسرته فهو يتحدث عن النزاع الذي وقع بين الحاج عمرالفوتي وملك سيقو بنا علي جارى من جهة وبينه وبين كل من أحمد الماسني الثالث والسيد سيدي البكاي من جهة أخرى . وقد حصلت على هذا المخطوط بعون الله.